



بالمcriabia

سميرة رجب

مجلس التعاون، وعروبة الخليج واستقراره... إلى أين؟

إلى أصحاب الجلالة والسمو، زعماء القمة الخليجية الثالثة والعشرين، نتقدم بهذا الخطاب المفتوح في مراجعة لأوضاع المنطقة مع نهاية مرحلة من الصعب والأحداث الجسام امتدت لفترة ربع قرن، وبداية مرحلة لا تقل عن سابقتها صعوبة وخطورة...

دون الدخول في تفاصيل تلك الأحداث المرة التي مرت على منطقتنا الخليجية، وانتهت باحتلال العراق والسيطرة الأمريكية التامة على كل منافذ المنطقة بـراً وبحراً وجواً، وعزلها عن عمقها وظاهرها الأمني الاستراتيجي العربي، ووقف الخليج اليوم، بلا حول ولا قوة، في مواجهة مباشرة أمام كل التهديدات والأخطار الأمنية والديمografية والطائفية والاقتصادية التي تهدد استقرار ووحدة وسيادة المنطقة وهويتها العربية... بعد كل ذلك الذي عاصرناه على مدى أكثر من ربع قرن، لا يمكننا إلا أن نبدأ بالذكر والتأكيد على ما قبل قبل ٢٣ عاماً، حول قراءة الدوافع الفعلية وراء تشكيل هذا المجلس عام ١٩٨٢، أي في بدايات الحرب الإيرانية العراقية، وخصوصاً بعد أن ثبتت الأحداث صحة تلك القراءة واقعيتها.

لم يكن هناك من شك، منذ البداية، في أن تشكيل مجلس التعاون الخليجي كان بداعي خلق جبهة خليجية في مواجهة العراق كقوة واعدة ضد الهيمنة الأمريكية على المنطقة... وأكبر تلليل على صحة هذه القراءة المبكرة هو إن القرارات الوحيدة التي كان يتم الإجماع عليها في القمم المتعاقبة لمجلس التعاون هي تلك التي صدرت بحق العراق... بدءاً من فترة حرب الخليج الأولى وإجماع هذا المجلس على دعم العراق لاستمرار وإطالة أمد الحرب بتزويدها بالقوة المالية والدعم المعنوي المطلوبين، في الوقت الذي كان الطرف الإيراني يحصل على نفس القوة والدعم من أطراف عربية ودولية أخرى، حيث كان استمرار وإطالة أمد تلك الحرب للقضاء على القوتين الإقليميتين هدفاً أمريكيـياً صهيونـياً أكدـه هنـري كيسـنـجر، وزـيرـ الـخارـجيـةـ الـأمـريـكيـةـ الـأسـيقـ، بمـقولـتهـ المشـهـورـةـ «إنـهاـ الحـربـ الـوحـيـدةـ الـتيـ لـاـ زـرـيـدـ لـهـ أـنـ تـنـتـهـيـ»... وـانتـهـاءـ بـتـكـ القرـاراتـ الـتيـ تـكـرـرـتـ فـيـ كـلـ الـقـمـمـ الـخـلـيـجـيـةـ، مـذـ ماـ بـعـدـ اـنـتـهـاءـ تـكـ الحـربـ الـلـعـيـنةـ إـلـىـ اـحـتـالـلـ الـعـرـاقـ فـيـ أـبـرـيلـ /ـ نـيـسـانـ ٢٠٠٣ـ، وـالـتـيـ كـانـتـ تـحـوـزـ دـائـماـ عـلـىـ إـلـحـامـعـ فـيـ الـمـوـافـقـةـ وـعـلـىـ إـصـرـارـ فـيـ التـنـفـيـذـ وـالـمـاتـابـعـةـ... تـكـ القرـاراتـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ دـيـبـاجـةـ تـتـصـرـرـ كـلـ بـيـانـ خـتـاميـ، وـالـتـيـ كـانـتـ تـصـاغـ بـإـحـكـامـ وـإـصـرـارـ مـنـقـطـعـ التـظـيـرـ لـذـبـحـ الـعـرـاقـ، مـنـ خـلـالـ اـسـتـمـرـارـ الـحـصارـ الـجـائـرـ عـلـىـ هـذـاـ القـطـرـ الـعـرـبـيـ وـشـعـبـهـ بـمـبـرـرـ الضـغـطـ عـلـيـهـ لـتـنـفـيـذـ كـلـ قـرـاراتـ الـشـرـعـيـةـ الـدـولـيـةـ وـالـقـضـاءـ عـلـىـ أـسـلـحـةـ الـدـمـارـ الشـامـلـ، الـتـيـ كـانـتـ الـذـرـيـعـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ غـزوـ الـعـرـاقـ وـاحـتـالـلـ، لـتـثـبـتـ إـلـادـرـةـ الـأـمـريـكـيـةـ بـعـدـ الـاحـتـالـلـ أـنـ هـذـهـ أـسـلـحـةـ قـدـ تـدـمـيـرـهـاـ مـذـ عـامـ ١٩٩١ـ، وـلـمـ يـكـنـ لـلـعـرـاقـ أـيـ قـوـةـ تـشـكـلـ خـطـراـ عـلـىـ دـوـلـ الـجـوارـ مـذـ ذـلـكـ الـوقـتـ...ـ

وـالـيـوـمـ، وـبـفـضـلـ عـهـودـ كـامـلـةـ مـنـ السـيـاسـاتـ غـيرـ المـدـرـوـسـةـ، وـالـقـرـاراتـ وـالـإـمـلاـءـاتـ الـخـارـجـيـةـ، أـصـبـحـتـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ بـمـجـملـهـ خـالـيـةـ مـنـ أيـ نـوـعـ مـنـ

أـنـوـاعـ الـقـوـةـ الـعـسـكـرـيـةـ، حـتـىـ الدـفـاعـيـةـ مـنـهـاـ، وـخـالـيـةـ مـنـ جـمـيعـ أـنـوـاعـ الـقـوـةـ الـأـخـرـىـ، الـاـقـتصـادـيـةـ مـنـهـاـ وـالـصـنـاعـيـةـ، وـأـصـبـحـ خـلـيجـنـاـ مـكـشـفـ الـظـهـرـ وـالـوـجـهـ لـأـعـدـاءـ مـبـاشـرـيـنـ وـغـيرـ مـبـاشـرـيـنـ، يـحـتـلـونـ أـغـلـىـ وـأـقـدـسـ الـأـرـاضـيـ الـعـرـبـيـةـ، وـيـمـلـكـونـ مـنـ الـقـوـةـ مـاـ لـاـ نـسـتـطـعـ مـوـاجـهـتـهـ...ـ فـيـ الـوـقـتـ الـذـيـ لـمـ تـعـدـ خـافـيـةـ تـلـكـ الـنـوـاـيـاـ وـالـسـيـاسـاتـ، الـمـعـلـنـةـ وـالـسـرـيـةـ، الـتـيـ تـصـبـ فـيـ عـمـلـيـاتـ تـفـكـيـكـ وـإـعادـةـ

تـرـكـيـبـ الـمـنـطـقـةـ سـيـاسـيـاـ وـجـغرـافـيـاـ، وـالـتـيـ بـدـأـتـ تـحـاكـ خـيـوطـهاـ الـأـوـلـىـ فـيـ إـطـارـ بـرـامـجـ وـمـبـادـرـاتـ وـضـعـتـ قـيـدـ التـنـفـيـذـ، وـفـيـ مـحاـورـ وـتـحـالـفـاتـ إـقـلـيمـيـةـ وـمـحلـيـةـ لـاـ يـزالـ يـخـشـيـ مـنـ طـرـحـهاـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ الرـسـمـيـ الـخـلـيـجيـ...ـ

يـاـ تـرـىـ مـاـ رـأـيـ أـصـحـابـ الـجـالـلـةـ وـالـسـمـوـ فـيـ التـهـيـدـ الـأـمـنـيـ الـمـبـاشـرـ لـسـيـادـةـ وـهـوـيـةـ وـاسـتـقـارـ الـمـنـطـقـةـ!ـ وـرـأـيـهـمـ فـيـ كـيـفـيـةـ التـنـصـدـيـ لـعـلـمـيـاتـ تـعـمـيقـ وـمـأـسـسـةـ الـبـنـيـةـ التـحـتـيـةـ الـخـلـيـجـيـةـ فـيـ الـخـلـيـجـ وـالـتـيـ لـمـ يـعـدـ مـمـكـنـاـ إـخـفـاءـ تـوـجـهـاتـهـاـ الـمـدـعـومـةـ

نـحـوـ خـلـقـ دـوـيـالـاتـ طـائـفـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـعـاـئـمـةـ فـوـقـ بـحـورـ مـنـ النـفـطـ، بـدـأـاـ مـنـ

التـقـسـيمـ الـطـائـفـيـ الـمـرـتـقـبـ لـلـعـرـاقـ!ـ...ـ وـرـأـيـهـمـ فـيـ إـمـكـانـيـاتـ الـمـتـوفـرـةـ بـدـولـنـاـ مـوـاجـهـةـ مـعـضـلـةـ انـحسـارـ الـعـنـصـرـ الـعـرـبـيـ فـيـ التـغـيـيرـ الـدـيـمـغـرـافـيـ الـخـطـيـرـ الـذـيـ

يـزـدـادـ اـنـسـاعـاـ وـخـطـورـةـ كـلـ يـوـمـ عـلـىـ كـلـ بـقـعـةـ أـرـضـ خـلـيجـيـةـ!ـ...ـ وـأـخـيـراـ وـلـيـسـ

أـخـراـ، كـيـفـ يـمـكـنـ أـنـ تـمـلـكـ بـولـنـاـ إـرـاثـتـهاـ الـسـيـاسـيـةـ فـيـ مـوـاجـهـةـ كـلـ تـلـكـ الـأـخـطـارـ وـهـيـ غـيرـ قـاـيـرـةـ عـلـىـ تـحـقـيقـ مـسـتـوـيـاتـ دـنـيـاـ مـنـ إـلـصـاحـ الـسـيـاسـيـ وـالـاـقـتصـاديـ

داـخـلـ مجـتمـعـاتـهاـ فـيـ ظـلـ ظـرـوفـ بـولـيـةـ مـتـلـاطـمـةـ وـغـيرـ آمنـةـ!ـ...

وـيـاـ تـرـىـ، بـعـدـ كـلـ هـذـاـ، هـلـ يـسـتـمـرـ الإـصـرـارـ عـلـىـ انـ الدـافـعـ الرـئـيـسيـ لـتـشـكـيلـ

مـلـسـ الـتـعـاوـنـ الـخـلـيـجيـ هوـ تـنظـيمـ الـعـلـاقـاتـ الـاـقـتصـاديـ وـالـأـمـنـيـةـ فـيـماـ بـيـنـ

بـولـهـ، الـذـيـ لـلـأـسـفـ لـمـ يـتـمـ تـقـيـدـهـ حـتـىـ الـآنـ!ـ...